16 ème Année No. 777

Lundi — 24 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٧ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ — ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مقاييس الأعمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعمال الناس لا تقاس بمقياس واحد .

لأنها قد تقاس بحسب النيات ، وقد تقاس بحسب الغايات ، وقد تقاس بحسب الأشخاص الذين يتولونها ، وقد تقاس بحسب المناسبات التي تقع فيها .

فتختلف المقاييس على حسب اختلاف هذه الأحوال .

مثال ذلك أنك تنهى الطفل الصغير عن طعام يثقل عليه وتستبيح أنت تناوله ، وتكون على صواب في الحالتين .

وأنك قد تنهاه في حالة المرض عن طعام تبيحه إياه في حالة الصحة ، ولا تخطىء في هذا الاختلاف .

وأنك قد تمنع أخاك الصغير عن معاشرة أناس ، ولا ترى أنت حرجاً في معاشرتهم ، لأنك لا تخشى منهم على نفسك كما تخشى منهم عليه .

وقد يحدث العمل الواحد فيتلقاه رجل بالاستخفاف ويتلقاه غيره بالغضب ، ولا اختلاف في الأمر غير اختلاف المزاج .

وقد يغتفر إنسان ما ليس يغتفره غيره ، لتفاوت بينهما في وجهة النظر ، وإن كان كلاهما من أفاضل الناس .

هذه اللاحظة ، أو هذه الملاحظات ، تزيل كثيراً من اللابس فيما يعرض في سيرة عمر بن الخطاب من الاختلاف بين حكمه على بعض الأعمال وحكم النبي عليه السلام على تلك الأعمال ، وكل ما يستفاد من ذلك أن أفق الأخلاق الإنسانية واسع فسيح ، وأنها تتسع لكثير من العوارض والأطوار ، ولا يستفاد من ذلك حتماً أن هناك تناقضاً في الأعمال والأحكام .

وقد سألني الطالب النجيب « حسين حسين الجزار » ، بمدرسة فاروق عن بعض هذه الأعمال التي اختلفت فيها وجهات النظر بين النبي والفاروق ، فرأيت من المفيد في دراسة النفس الإنسانية ، وفي دراسة العظماء على الخصوص ، أن أبين الوجه الصحيح في النظر إلى هذه الفروق ، بحيث يبدو من هذا النظر أن عمل النبي جائز من النبي ، وأن عمل الفاروق جائز من الفاروق ، ولا تناقض هناك ، ولا غرابة في كلا الأمرين .

سألني الطالب الأديب عن قصة الجارية التي كانت تضرب بالدف بين يدي النبي ، فما هو إلا أن دخل عمر حتى وجمت الجارية وأسرعت إلى الدف تخفيه . فقال النبي إن الشيطان — أو إن شيطانها — ليخاف منك يا عمر !

وموضع العجب عند الطالب النجيب أن تعمل الجارية في حضرة النبي ما لا تعمله في حضرة الفاروق .

ولا عجب هناك ؛ فإن كل ما هنالك من الفرق بين الأمرين أن الجارية أنست إلى سماحة النبي ، ولم تأنس إلى شدة عمر . ولا غرابة في الشدة هنا أو السماحة هناك .

والكلام في هذه القصة عن شيطان الأغاني والشعر

والأهازيج : أى عن شيطان الفنون على الإجمال ، وليس شيطان الفنون فى حكم الدين أو الأخلاق كشيطان المعاصى والشرور .

والمرجع — بعد — فى هذه القصة إلى الجارية ومن تأنس إليه . وقد تغنى جارية فى حضرة السلطان ، ولا تغنى فى حضرة رئيس الشرطة مثلا أو قائد الجيوش ، ولا يقال إن هذا أو ذاك أعظم عندها من السلطان . فإنما المسألة كلها فى هذه المواقف مسألة الأنس والارتياح . وليس لنا أن نسأل مغنياً أو فناناً ، لماذا يرتاح إلى هذا المقام ، ولا يرتاح إلى ذلك المقام .

ولم يكن عمر رضى الله عنه يحرم ما أحله النبى عليه السلام فى هذا الصدد . فقد قرأ الطالب الأديب ولا شك أن عمر سمع ضجة فى مكان فقيل له إنه عربيس . فقال : هلا حركوا غرابيلهم : أى طبولهم . فلا تحريم فى الأمر ولا تحليل ، وإنما هو كما قدمنا مسألة ارتياح « شخصى » لا يحاسب عليه صاحبه بحساب الإلزام .

وسأل الطالب الأديب كذلك عن قصة الأسود بن شريع ، الذى كان ينشد النبى بعض الأماديح ، فاستنصته النبى مرتين إذ دخل عليهما عمر والشاعر لا يعرفه . فصاح : وا ثكلاه ! من هذا الذى أسكت له عند النبى ؟ فقال النبى : هذا عمر . هذا رجل لا يحب الباطل .

ويسأل الطالب : كيف يقبل النبى ما لا يقبله الفاروق ؟

وينبغى أن نعرف أولا ما هو معنى الباطل المقصود فى هذه القصة . فإن الباطل قد يكون بمعنى المزاح : يقال بطل فى حديثه بطالة أى هزل ومزح . وقد يكون بمعنى الشىء الذى لا غناء فيه ، أو الشىء الضائع ، أو الشىء الذى تقل جدواه ، وقد يكون مقابلا للحق مقابلة الشىء وما لا يشبهه ، لا بمقابلة النقيض للنقيض .

وموضع السؤال الحق هنا : أى الرجلين كان أولى بمحاورة النبى عليه السلام ؟ الأسود بن شريع أو عمر بن الخطاب ؟

ولا خلاف فى الجواب .

أما أن النبى يتسع صدره لكلام لا يتسع له صدر عمر ، فليس من اللازم أن يمنع النبى كل ما يمنعه أصحابه ، ولو كانوا على صواب . ونحن نرى مصداق ذلك فى كل شريعة وكل نظام وفى كل زمان . فإن القضاء قد يدين مجرماً بحكم القانون ، ثم يعفو عنه الملك لسبب يراه ، ولا يقال إن فى الأمر مخالفة للعدل أو للشريعة ، وإنما هو اختلاف للتقدير الذى قضى بالعفو ، والتقدير الذى قضى بالعقاب .

واختلاف التقديرين بين النبى العظيم وصاحبه العظيم ، كما قلنا فى عبقرية عمر « هو الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم . فالنبى لا يكون رجلا عظيما وكفى ، بل لابد أن يكون إنساناً عظيماً ، فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء ، وتهيؤه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم ، فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها ، وإن لم يكن ممرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه ، وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة » .

والمعنى البسيط الذى يفهم من هذا الفارق ، ومن جميع الفوارق ، أن النبى ليس هو عمر ، وأن عمر ليس هو النبى ، وأنهما لا يلزم أن يكونا على نمط فى الفهم والشعور ، وإن كان لكل منهما نصيب من العظمة ومكارم الأخلاق .

***

وسؤال آخر فى علم النفس يسأل عنه الطالب الأديب فيقول : « إن العالم الإيطالى يقرر أن من صفات العبقرية الطول البائن ، أو القصر البين » ثم يسألنى : « لماذا لا يحد الأستاذ من هذا القول ! أليس الطول البائن زيادة عن الحد المطلوب ، أو عن تناسب القوام ؟ » .

ومن الواجب أن نذكر أننا لا نتكلم هنا فى فروض وتقديرات ، ولكننا نتكلم فى واقع لا شك فيه ، وهو أن عمر كان طويلا مفرطاً فى الطول ، وكان كما وصفوه يمشى كأنه راكب ، وكان مع هذا عبقرياً بشهادة النبى وشهادة الصحابة وشهادة الأعمال .

فلا حيلة لنا فى هذه الصفة ، ولا مخرج منها بالفروض والتقديرات .. كان طويلا وكان عبقرياً . فلماذا نقول إن ليبروزو قد أخطأ فى تصويره للازمات العبقرية ، وهو قد أصاب ؟

وبعد فالكلام عن العبقرية غير الكلام عن التناسب . لأن